قصة الأميرة والفتى الذي يكلم المساء

اعرفها وأعرفه
تلك التي مضت ولم تقل له «الوداع»
(.. لم تشأ
وذلك الذي على ابائه اتكأ
يجاهد الحنين .. يوقفه
كان الحنين يجرفه
فهو انا وانت والذين يحفرون تحت
(حائط سميك
لتصبح الحياة عش حب
به رغيف واحد ، وطفلة ضحوك !

*

أعرفها وأعرفه
أميرة شرقية تهوى الغناء
تهواه لا تحترفه
وتعشق الليالي الماسيّة الضياء
« صاحبة السمو أقبلت ! »
ويصبح البهو المليء ضفتين
وتهمس الشفاه كلمتين .. كلمتين :
ـ « عشيقها هذا المساء شاعر انيق ! »
ـ « نعم فانها تضيق بالعشيق »
« اذا أتى الصباح وهو في ذراعها »
وتهمس امرأه :
ـ « دولابها يضم الف ثوب ! »
وتهمس امرأه :
« وقلبها يضم الف حب ! »
ـ « نعم نعم .. فانها اميرة لا تكتفي
(بحب ! »
ويخفت الحديث ، ثم يهتف المضيف :
« يا اصدقاء ..
« صاحبة السمو تبدأ الغناء ! »
ويخفت الضياء غير كوة تنير وجهها
وتبدأ الغناء .. « أوف ! »
« قلبي على طفل بجانب الجدار
لا يملك الرغيف ! »
وتلهث الاكف .. « فلتحيا نصيرة
(الجياع ! »
ثم تدور عينها لتلمح الذي اصابه
(الكلام
وعندما يرف نور الشمس تهمس
(« الوداع »
وفي ذراعها عشيقها الجديد !

*

أعرفها وأعرفه
لانني كنت كثيرا ما أصادفه
على شجيرة المساء قابعا بنصف ثوب
يقول للمساء :
« يا أيها الحزن الأثيري الرحيب !
« يا صاحب الغريب !
« أنا كلام الارض ، هل انصتَّ لي ؟
« انا ملايين العيون ، هل نظرت لي ؟
« لي مطلب صغير
« أن تصبح الحياة عش حب
« به رغيف واحد ، وطفلة ضحوك ! »
وفي ليالي الخوف طالما رأيته يجول
(في الطريق
يستقبل الفارين من وجه الظلام
ويوقد الشموع من كلامه الوديع
ففي كلامه ضياء شمعة لا تنطفىء
ويترك اليدين تمشيان بالدعاء
على الرؤوس والوجوه
وتمسحان ما يسيل من دموع
« الصبح في الطريق ..
« يا اصدقائي انني أراه
« فلا تخافوا بعد عام يقبل الضياء ! »
وعندما يمشون تمشي فوق خديه
(الدموع
ويفلت الكلام منه ، يفلت الكلام :
« هل يقبل الضياء حقا بعد عام ؟! »

*

ذات مساء كان صاحبي يكلم المساء
فانساب مقطع مع الرياح ثم وشوش
(الاميره
فقربت مرآتها .. وصفقت :
« يا أيها الغلام
« بجانب القصر فتى يخاطب الظلام
« اذهب اليه ، قل له سيدتي تريد
(ان تكلمك
« ولا تقل أميرتي ! »
ثم تهادت نحو شرفة جدرانها زهور
ورددت في الصمت .. « أوف ! »
« قلبي على طفل بجانب الجدار
« لا يملك الرغيف ! »
وأقبل الغلام يسبق الفتى :
ـ « أميرتي .. سيدتي أتيت به »
ـ « اهلا وسهلا .. ليلنا سعيد
« ادخل .. تفضل » .. وانقضى
(المساء !
وفي الصباح ساءلته .. « ما الذي
(رأيت ؟ »
ـ « سيدتي .. اني رأيت كل خير
« سيدتي .. انا سعيد ! »
قالت له وعينها في عينه المسهده :
ـ « أراك قد عشقتنا ! »
فلم يرد صاحبي ..
قالت له :
ـ « فما الذي تعطيه لي لو اننا عشنا
(معا ؟! »
فدمّعا
ثم أجابها وصوته منغم حزين :
ـ « سيدتي انا فتى فقير
« لا املك الماس ولا الحرير
« وانت في غنى عما تضم أشهر
(البحار من لآل
« فقلبك الكبير جوهره
« جوهرة نادرة في تاج عصرنا
« ولو قضيت عمري الطويل أقطع
(البحار
« وأنشر القلاع
« وأبسط الشباك ، أقبض الشباك
« لما وجدت مثلها !
« لكنني وجدتها هنا
« وجدتها لما سمعت لحنك المنساب
(كالخرير
« يبكي لطفل نام جائعا ! »
فابتسمت قائلة ... « لا ... انت
(شاعر كبير !
« يا سيدي .. أنا بحاجة الى أمير
« الى أمير ! »
وانسد في السكون باب !

*

أعرفها وأعرفه
تلك التي مضت ولم تقل له « الوداع »
(.. لم تشأ
وذلك الذي على ابائه اتكأ
يجاهد الحنين .. يوقفه
كان الحنين يجرفه !

احمد عبد المعطى حجازي

القاهرة